

متى ٢٦، ٢١-٣٩

الخميس العظيم (في القدّاس)

الشركة "الإلهية الإنسانية"

"وكلما أكلتم من هذا الخبز وشربتم من هذا الدم
تخبرون بموتي وتعترفون بقيامتي"

القدّاس الإلهي هو تلبية لدعوة عشاء محبة، كما ورد في الأمثال الإنجيلية على فم الرب يسوع. فهو إذن المشاركة مع السيّد في مأدبة، يقدم ذاته فيها مأكلاً ومشرباً حقيقيين. وهذه المأدبة هي "جلسة تجديد المحبة". العلاقة مع الله هي تماماً كالعلاقة مع الصديق المحبّ والحنون، كلّ يوم آخر نعاشره فيه نراه أكثر حباً وأعظم حناناً. في كلّ مأدبة نحن مدعوّون لـ "كشوفات" جديدة وليصير الله أوضح لنا وأقرب إلينا عمّا سبق. أليس هذا ما يحصل معنا في حياتنا اليومية مع أيّ صديق كان، إلاّ مع الله لأننا غالباً ما نجعل القدّاس يسقط في بوتقة "الروتين" و"العادة" السطحية التي تقتل العبادة. فالعلاقة مع الله لا تكون صادقة إذا جمدت وهي لا تحتمل "ستاتيك" التنظير ولكنها تحتوي حيوية "التجديد". المحبة في طبيعتها تجدد في كلّ لقاء ما هو قديم وتضيف عليه ما هو أكثر. لعلّ أبشع ما يجري أنّنا أحياناً في القدّاس نتناول الجسد والدم ونخرج دون خيرة جديدة مع الذابح والذبيحة، نتناول الجسد دون حوار مع المقدّم والمقدّم، مع الكاهن والضحية، مع الصديق والداعي.

فترة القدّاس الإلهي هي زمن تقبل النعمة الإلهية وهي أيضاً زمن الحفاظ عليها. هذه الفترة هي ذوق لما كان ولما سيأتي أيضاً، أي للفردوس الذي فيه شجرة الحياة. زمن القدّاس الإلهي هو أفضل زمن للتجلّي الإلهي، نصير فيه مشاركي الطبيعة الإلهية.

لا يفرض الله ذاته علينا، إنه ينظر إلينا دائماً وينتظر لحظة نظرتنا إليه. فلنصلّي تلك العبارة الرائعة:
"لتشرق النعمة وليغرب العالم" ونحن في طريقنا إلى القدّاس الإلهي، ونحن عازمون إلى لقاء الحبّ، الذي
شبهه الربّ بالعرس بينه وبين كلّ منّا.

الحبّ خبرة من لم يذوقها لا يعرفها. المحبّة الإلهيّة نار تمسّنا فتتيرنا. الحبّ الإلهي ليس مجرد صورة
نور ننظرها فنبقى معتمين! الحبّ الإلهي قوّة ننظر إليها فتجذبنا. كلّ لحظة صلاة وخاصّة في القدّاس هي
"خروج" في طلب النعمة، لا بل "هيام" إلى الآتي وسعي من هنا إلى هناك، أي إليه.
الذي يعاين أنّه محبوب من العطف الإلهي يرمي بذاته إليه، وإلاّ فهو لم يفهم بعد الحبّ المنعطف
إليه، ولم يشعر به.

الحبّ خبرة وليس خبراً. العبادة ليست حفظ (تغيب) الوصايا وإنّما الحفاظ على الوصيّة
(ممارستها والحفاظ على حالتها). والوصيّة الوحيدة هي "المحبّة"، وليس حبّ أعظم من أن يبذل الله ذاته
عن أحبائه. ونحن جواباً على طلب حبه "اصنعوا هذا لذكري" نأتي إلى القدّاس الإلهي خارجين إليه
وصارخين: يا سيّد "أرنا وجهك وحسبنا". آمين

